العرب
الخميس 2019/12/19
السنة 42 العدد 11563

هل يتجه أردوغان إلى «قبرصة» ليبيا في ظل الصمت العربي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

الوضع في ليبيا أخطر مما يعتقد البعض بعد ظهور بوادر التدخل التركي السافر. الصمت العربي غير المفهوم يزيد من تكريس الخطر. الجامعة العربية التي كان لها دور كبير منذ عام 2011 في ما وصلت إليه الأوضاع في ليبيا لم تتحرك بعد في أي اتجاه، ولو في اتجاه إصدار موقف كالذي أعلنته من الهجوم التركي على شمال سوريا في أكتوبر الماضي.

الداخل الليبي يغلي كالمرجل، المجالس العسكرية في عدد من المدن مثل مصراتة والخمس وزليتن والزنتان والزاوية تعلن حالة النفير العام لمواجهة الجيش، في موقف معاكس لمواقف المجالس الاجتماعية لأعيان القبائل في تلك المدن، فالمسلحون الذين يزعمون أنهم المؤتمنون على ثورة 17 فبراير، لا يرون مانعا من تسليم بلادهم للسلطان العثماني الجديد، وأغلبهم لا يدرك شيئا عن تاريخ طويل من صراع أجدادهم ضد أجداد رجب طيب أردوغان الذين احتلوا ليبيا 500 عام قبل أن يسلموها للمحتل الإيطالي.

عقلية العربدة لدى أردوغان قد تدفع به إلى المغامرة، لقد جس النبض العربي وتبين له أن رد الفعل لن يتجاوز الكلام المرسل والبيانات البائسة، كذلك الأمر بالنسبة لرد الفعل الدولي

الشعارات الثورجية ليست سوى غطاء لعصابات النهب والتهريب والاتجار بالبشر والعربدة التي تعمل على إبقاء الوضع على ما هو عليه. قوى الإسلام السياسي تريد منها الاستمرار في ذلك، وحكومة السراج لا تزال تتحدث عن الدولة المدنية التي يحكمها شقان؛ الإسلام السياسي وأمراء الميليشيات في تحالف بينهما تفرضه المصلحة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتصدي للقوات المسلحة، أي لفكرة الدولة وقيمة السيادة الوطنية.

حكومة السراج لا ترى مانعا من أن يتم تجنيد المرتزقة والإرهابيين والقتلة ومجرمي الحق العام لمواصلة الحرب، وفوق ذلك تفتح الباب أمام التدخل التركي المباشر، والإخوان يدفعونها نحو المزيد من الاستسلام لأوامرهم، هم يرون أن لا مكان يمكن أن يجمعهم بخليفة حفتر، الذي يرون فيه عدوّهم الأبرز منذ أطلق عملية الكرامة ضد ميليشياتهم في شرق البلاد في مايو 2014، ومنذ أن اندمج في مشروع التحالف العربي المقاوم للإرهاب.

ليبيا بلد ثري والصراع عليه كبير إقليميا ودوليا، لكن هناك مثل ليبي يقول إن "الخائن سُلّم العدو"، وبالتالي فإن أي أطماع أجنبية لا يمكن أن تحقق أهدافها إلا إذا وجدت داعما محليا، اليوم وجد هذا الداعم وهو فائز السراج مستفيدا من شرعية دولية تم فرضها على الشعب والمجتمع ومجلس النواب، ولم تتم مراجعتها رغم فشل أدائه طيلة السنوات الأربع الماضية.

آخر ما قام به السراج طيلة تلك الفترة، هو توقيعه المُهين على مذكرتي التفاهم مع الأتراك في 27 نوفمبر الماضي، ورغم أن العالم اهتم أكثر بمذكرة المنطقة الاقتصادية الخالصة، فإن مذكرة التعاون الأمني والعسكري تبدو الأخطر على البلاد وسلامة ووحدة أراضيها، خصوصا وأن أردوغان يريد أن يجد موطئ قدم له في ليبيا التي يزعم أنها أرض أجداده، مستفيدا من علاقة نظامه بالميليشيات المسلحة والجماعات الإرهابية المرتبطة بمنظومة الإسلام السياسي وعلى رأسها جماعة الإخوان، وكذلك مع الأقلية العرقية المنحدرة من أصول عثمانية التي استوطنت المدن الساحلية الغربية وخاصة مصراتة قبل عدة قرون.

"قَبْرصة" ليبيا قد لا تكون أمرا مستبعدا في ظل مشروع واضح للتقسيم يعمل على الدفع بالجيش ليعود إلى المنطقة الشرقية، بينما تنفرد ميليشيات الوفاق والقوات التركية بالمنطقة الغربية والوسطى، والمعروف عن الأتراك أنهم إذا دخلوا قرية استوطنوها، تماما كما حدث عندما غزوا قبرص في 20 يوليو 1974، وقاموا بإنزال جنودهم في الجزء الشمالي من الجزيرة، ليتم الإعلان عن استقلال جمهورية شمال قبرص على الجزء المحتل من تركيا في 15 نوفمبر 1983.

تقع جمهورية شمال قبرص التركية، في الجزء الشمالي من جزيرة قبرص، وهي ذات أغلبية سكانية من أصول تركية. وعلى الرغم من إدارة هذا الجزء من جزيرة قبرص كدولة مستقلة، إلا أنه لا تعترف باستقلاله أي دولة أو مؤسسات دولية إلا تركيا. لذلك تدير جمهورية شمال قبرص علاقتها الخارجية عن طريق تركيا، وكذلك يرتبط اقتصاد الجمهورية بالاقتصاد التركي بشكل كامل وتستعمل فيها العملة التركية كعملة رسمية.

ويتفق السراج وأردوغان والإخوان والميليشيات على الاستهانة بالشعب الليبي وخاصة القبائل البدوية التي تمثل أغلبية السكان وتقف اليوم مع الجيش الوطني، ولكنها لم تستطع فرض إرادة سياسية لتغيير المشهد المأساوي، حتى الأمم المتحدة لا تعطي أهمية حقيقية لثقل تلك القبائل، البعض يرى أن العالم لا يهتم إلا بشيئين: المصرف المركزي ومؤسسة النفط الواقعين تحت سلطة السراج وحلفائه.

أي تدخل عسكري تركي في ليبيا سيكون كارثيا بكل المقاييس، وستشهد البلاد حربا طاحنة في مناطقها الغربية وهجرة كبرى إلى الخارج، واتساعا لدائرة الإرهاب، وانقساما بين شرق وغرب، وكالعادة لن تنظر الدول الكبرى إلا إلى الثروات من النفط والغاز واستمرارية تدفقها، وقد تتحول مصراتة إلى عاصمة فعلية لليبيا نتيجة علاقاتها التاريخية مع الأتراك.

إن عقلية العربدة المعروفة لدى أردوغان قد تدفع به إلى المغامرة، لقد جس النبض العربي مؤخرا وتبين له أن رد الفعل لن يتجاوز الكلام المرسل والبيانات البائسة، كذلك الأمر بالنسبة لرد الفعل الدولي الذي لم يعد الخليفة العثماني يعتد به منذ فترة طويلة.

هل تتم قبرصة غرب ليبيا؟ الأمر قد لا يكون مستبعدا، لقد وجد أردوغان السلّم الذي يصل به إلى وسط البيت، ألم يقل المثل الشعبي الليبي إن "الخائن سلّم العدو"؟

انتهى زمن الفتوحات سيد أردوغان

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما أن يغلق الرئيس التركي رجب طيب أردوغان صفحة حتى يفتح صفحة أخرى. وكلها صفحات تكشف عن انخراطه في لعبة، هي أكبر من تركيا، كما أن ذلك السلوك لم ينفع الاقتصاد التركي في شيء بل على العكس أضر به، فلا تزال آثار غزوته الكردية الأخيرة شاخصة لم يتم علاجها. هذه المرة كانت وجهته ليبيا.

وتدخله في الصراع الليبي ليس جديدا. وفي ذلك إنما تقوم تركيا برعاية ودعم وتوسيع دائرة مشروعها الإخواني الذي صار واضحا منذ سنوات من جهة اعتماده على الميليشيات، وهو النهج ذاته الذي اعتمدته حكومة الوفاق في طرابلس التي تحكم في ظل حماية الميليشيات. ذلك هو العامل المشترك بين حكومتي أنقرة وطرابلس.

ليس من باب الصدفة إذاً أن يتم التقارب بين الطرفين.

غير أن الجانب الذي لم تفكر فيه طرابلس وقد لا يعنيها هو ذلك المتعلق بأطماع أردوغان الغريبة في أن يجد لتركيا موطئ قدم على أرض جديدة. وهو ما يعتبره أردوغان إنجازا عظيما. فهو من خلاله يعيد تركيا إلى زمن الفتوحات وهو ما يعيده شخصيا إلى أحلامه في أن يكون سليلا لسلاطين بني عثمان. وبالرغم من أنها فكرة تقيم أسسها على الخرافة في عصرنا، فإن أردوغان يستفيد من مزاج دولي لا يزال عصيًا على الفهم. ذلك المزاج الذي لا يرى خطورة في وجود جماعة الإخوان والميليشيات التابعة لها، بل يسعى أحيانا إلى التغطية عليها والقبول بها كما لو أنها الحل المقبول. يلعب أردوغان على حبل، يعرف أنه لن ينقطع به.

اللعبة الإيرانية نفسها مع أن أردوغان يعتقد أن لعبته لن تجعله في حالة صدام حقيقي مع الغرب. غير أنه لم ينتبه إلى أن الإيرانيين على وشك أن يخرجوا من ملعبهم خاسرين، لا بسبب الموقف الغربي المناوئ لهم بل بسبب عناصر أخرى، لم يكن في إمكانهم ضبطها والتحكم بها وهو ما قد يحصل للمغامرة التركية في ليبيا.

ليست لتركيا مصالح في ليبيا. إلا إذا اعتبرنا حماية حكومة الميليشيات مصلحة تركية. ذلك ما يعزز النظرية التي تؤكد الصلة العضوية بين تركيا الأردوغانية والجماعات المسلحة التي تدين بالولاء لجماعة الإخوان المسلمين. وهو ما يعيدنا إلى المسألة السورية والدور الخبيث الذي لعبته تركيا في إطالة الحرب في سوريا من خلال فتح حدودها لدعم التنظيمات المسلحة بالمقاتلين والمال والغذاء.

ولكنها هذه المرة تتدخل بشكل مباشر. فإذا صدقت الأخبار التي تفيد بأن تركيا قد أنزلت قواتها في طرابلس

إذا ما استطاع أردوغان في المرة السابقة أن يجد في الإرهاب الذي يهدد حياة الأتراك مسوّغا لمغامرته ضد الأكراد في شمال سوريا، فإنه هذه المرة لن يقنع أحدا بأسباب مغامرته في بلاد بعيدة لا تمتّ بصلة لتركيا

بعد أن سبقتها الأسلحة الثقيلة، فإن ذلك معناه أن تركيا صارت طرفا في الحرب الليبية وهو ما ينذر بتحول خطير في مسار تلك الحرب. ذلك لأن التدخل التركي لن يبقى وحيدا. لن تتركَ تركيا وحيدة في الميدان بما يسمح لها بفرض معادلات جديدة في ليبيا.

ليست الحرب في ليبيا خيار الليبيين وحدهم. ذلك ما يمكن أن يُفشل خطط أردوغان ويحطم حلمه بالفتوحات.

لا أعتقد أن صدى ذلك في الداخل التركي سيكون مريحا بالنسبة لأردوغان شخصيا ولحزبه بشكل عام. فقد تقضي تلك المغامرة على مستقبلهما السياسي بعد أن تؤدي إلى استبعادهما من الحكم.

لقد شبع الاقتصاد التركي ركلات بسبب السلوك غير الحكيم لأردوغان. فالسوق هو الذي يتحكم بمزاج الأتراك وليست الميول العقائدية للرئيس وحزبه.

فإذا ما استطاع أردوغان في المرة السابقة أن يجد في الإرهاب الذي يهدد حياة الأتراك مسوغا لمغامرته ضد الأكراد في شمال سوريا، فإنه هذه المرة لن يقنع أحدا بأسباب مغامرته في بلاد بعيدة لا تمت بصلة لتركيا.

مزرعة الحيوان البريطانية

علي الصراف
كاتب عراقي

عدتُ لأقرأ "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل، لأعرف ما هي "المؤسسة" التي قصدها جون ماكدونيل وزير الخزانة في حكومة الظل البريطانية.

ماكدونيل قال في لقاء مع أندرو مار، أحد كبار مقدمي برامج الـ"بي.بي.سي"، "إن المؤسسة هي التي هزمت جيريمي كوربن، وأنها بسيطرتها على الإعلام، سعت لشيطنته على امتداد أربعة أعوام متواصلة".

ماكدونيل ليس رجلا عاديا على أي حال. فهو نائب في البرلمان منذ عام 1997. وخدم في حكومة الظل، منذ عام 2015. ووجد نفسه، بطريقة ما، على تماس مع "المؤسسة" التي ينتقدها ويحمّلها المسؤولية عن هزيمة حزبه.

ولكن ما هي تلك "المؤسسة" الغامضة. إنها ليست البرلمان بالتأكيد، ولا الحكومة بالطبع، لأنه ما من أحد يمكنه القول إن الحكومة تسيطر على الإعلام. الإعلام في المزرعة البريطانية "محايد"، كما يُقال، حيال كل الحكومات والأحزاب. ولا الجيش هو تلك "المؤسسة" ولا المخابرات ولا موظفو الخدمة المدنية. فهؤلاء وإن كانوا يخضعون لها إلا أنهم لا يرونها. ولا يعرفون عنها الشيء الكثير. ولا حتى الصحف البريطانية تتحدث عنها. إنها لغز، ولكن يبدو أنها تستطيع أن تختار من يفوز ومن يخسر في أي انتخابات، بصرف النظر عن خططه أو برنامجه.

الخنزير "نابليون"، بحسب رواية أورويل، انتهى، على أي حال، فائزا بكل شيء. وصار بوسعه، في تناقض صارخ مع فلسفة "الحيوانية" (أنيموليزم)، أن يفعل ما يشاء، وأن يحرك "مؤسسته" الإعلامية التي يقودها الخنزير "سكويلر" للترويج لسياساته. أما الطبقة العاملة التي يمثلها الحصان "بُكسر"، فإنها لن تكتفي بالتصويت له، بل أنها سوف تعمل بجد وكد لصالح قائدها الجديد.

ما هي تلك «المؤسسة» الغامضة. إنها لغز ولكن يبدو أنها تستطيع أن تختار من يفوز ومن يخسر في أي انتخابات بصرف النظر عن برنامجه

جيريمي باكسمان، أحد أشهر مقدمي الأخبار في الـ"بي.بي.سي"، عندما اختار أن يعمل فيلما وثائقيا عن الانتخابات الأخيرة، ذهب إلى مزرعة خنازير ليصور بيئة السباق قبل أن ينتقل إلى البرلمان.

كان فيلما وثائقيا ملفتا عن الأكاذيب. بعد ظهور نتائج الانتخابات، تطابقت الصور تماما مع الإجابة على سؤال بسيط: كيف تفوز بالسلطة، بصرف النظر عما تقول؟

شعرت بالحاجة إلى أن أعود إلى أورويل لعلّي أجد تفاصيل أكثر عن طبيعة تلك المؤسسة الغامضة التي تحدث عنها ماكدونيل.

المسألة ليست مسألة "يمين" ولا "يسار". لا رأسمالية ولا اشتراكية. فهذا كلام عام، لا يصلح لوصف المؤثرات الحقيقية في "المزرعة". ماكدونيل نفسه لم يكن بحاجة لهذه التصنيفات، رغم أنه كان أحد أبرز الذين وضعوا البرنامج الانتخابي لحزب العمال.

الكل في نظر "المؤسسة" حيوانات. ولكل منهم واجب يؤديه في خدمة مصالحها. وكل الحيوانات، بحسب الأفكار التي أعدها الخنزير الحكيم "ميجور"، متساوية، ولو كان بعضها يتمتع بمقدار من "المساواة" أكثر من غيره.

واحدة من أهم أصول الماغناكارتا ربما كانت هي فلسفة الـ"أنيموليزم" التي نصت في بعض فقراتها:

- كل من يسير على قدمين هو عدوّ.
- كل من يسير على أربع أو يطير هو صديق.
- يُمنع على الحيوان قتل حيوان آخر.
- كل الحيوانات متساوية.

ولئن تمكن "نابليون" من الانقضاض على السلطة ليكون "الأول" بين "متساوين" ويطرد منافسه الشرير "سنوبول"، فقد ظل متبوعا بكلابه، وانتهى إلى تحريم الاجتماعات يوم الأحد، وآثر أن يمارس سلطة مطلقة، وأن يقوم بإبلاغ الحيوانات بقراراته من دون أن يسمح بمناقشتها.

"نعم لذوات السيقان الأربع، لا لذوي الساقين". لننجز الثورة. شعارات من هذا النوع هي التي سيطرت على المزرعة.

"نابليون"، يقول أورويل، لم يكن مضطرا في نهاية المطاف للظهور أمام الملأ. "كان يقضي معظم وقته داخل البيت تحرسه كلابه المتوحشة. وإذا خرج من عزلته فبمظهر تسوده مراسيم مهيبة تحت حراسة مشددة".

ربما كان هو المؤسسة، ولكن ما لا يعرفه أحد هو كيف يحكم؟ ومن هم أولئك الذين ينقلون أوامره؟ وما هي الضمانات بأنهم ينفذونها ولا يضيفون عليها شيئا من نباحهم الخاص؟ أم أن إخلاصهم وولاءهم لا جدال فيهما؟

إنهم من ذوي السيقان الأربع، دون أدنى شك. وبحكم هذه الطبيعة فإنهم مطيعون وأوفياء. والمزرعة التي ظلت تتغنى بنشيد "حيوانات إنكلترا"، سيظل بوسعها أن تقول:

"الثروات ستتجاوز أحلامنا
القمح والشعير والتبن، أجل
البرسيم، الذرة والشمندر
سيكون لكم منذ اليوم".

يمكن لأي أحد أن يسمع النشيد. الكثير من النواب الجدد يرددونه. وتهتزّ جدران البرلمان للأصوات العذبة التي تترنم به. يمكن أيضا أن تسمع إضافات مهمة عليه، من قبيل القول "لن ندفع لأوروبا قرشا". و"لن يغزونا المهاجرون من ذوي الساقين".

ولكني لم أعثر على "المؤسسة". وبدلا من أن أجد حلا للغز، فإن غموضه زاد، وغلبني الشعور بأن ماكدونيل ربما كان يطارد أشباحا، وأن الديمقراطية في المزرعة راسخة، وتقف على أربع أقدام.